

الطفل الذي في داخلي حافظ على إيجابيتي رغم إصابتي بالسرطان مرتين

لجينة الأصيل لـ«الوطن»: فخورة برسوماتي التي لا تقل بقيمتها عن اللوحات... ولن أتوقف رغم النظرة لهذا الفن



في بلادنا هناك إهمال يتعلق بسوء تثقيف الطفولة وهو ممتد إلى الكتابة والتمثيل

جائزة «بام» التي تمنحها الجمعية البرلمانية للبحر الأبيض المتوسط في مدينة بلغراد في صربيا. لنلق هنا قليلاً.

خلال مشاركاتي في المعارض ومنذ الثمانينيات من القرن العشرين وأنا أسمع إطلاقات تشيد بجهودي ويقولون «أنت تبين جسرًا بيننا نحن الدول الغربية وبين بلدك، ونحن نتعرف على سورية من خلال رسوماتك وأعمالك». وبالتالي الجائزة التي نتحدث عنها، لقد حصلت عليها لأن عملي كان صلة وصل بين البلدين، والطريف بالموضوع أن منظمي الجائزة لا يعلمون عنواي ولكنهم راسلوا داراً للفن بالأردن كنت أتعامل معها منذ نحو عشرين عاماً، بعدما تم التواصل معي وكنت أنا في مسقط ولم أتمكن من الحضور لتسلم الجائزة، فأرسلوها مع فريق إلى مجلس الشعب في سورية، والحمد لله جاءت الجائزة من دون أي تعطل، ولم أفرق بها يوماً، ولكن في النهاية حين يعمل المرء بإخلاص ويحب كبير فلا شك سيحقق الصدى المطلوب.

عالم الطفل زاهي الألوان، في حين الداكنة منها يكون استخدامها قليلاً وإن حصل يحدث ذلك بدقة شديدة.. ما تعقيبك؟ هذا صحيح لأنه على الفنان أن يقوم بإبراز الحدث الأساسي بتسليط الضوء عليه عن طريق الألوان وكانت داكنة، فبعض الألوان من الأمور غير المفيدة إذا لم تكن موفقة بالشكل الصحيح، بمعنى أنه لا مانع من استخدام الألوان الدكنة، ولكن علينا توظيف الألوان الزاهية بدقة وانتباه، كي نقيد الفكرة المراد إبرازها، حيث نوظف اللون لإصالتها لذهنية الطفل، ويجب ألا نشغل باله بالثثرة بالألوان المبعثرة والعناصر الموجودة بلا مبرر، فالموضوع الأساسي يجب أن يكون واضحاً وعليه الضوء باللون المطلوب.

هل هناك فرق بين رسومات المجلات المصورة والرسومات المخصصة لقصص الأطفال؟ المجلات المصورة من الأمور الطباعية فهي سريعة وتحتاج من الفنان أن يخفف من التقنيات لأنها لن تظهر عبر الطباعة، على حين الرسوم المخصصة لقصص فهي تعامل معاملة اللوحة، لأن الورق من نوع خاص ويكون اختيار الطباعة والألوان دقيقاً، وهنا كما يامل الكاتب أن يوصل إحساسه بدقة عبر الكلمة كذلك الرسام، وبالتالي لكل من الأمرين عالمه الخاص والأسلوب فيه مختلف.

ما مدى أهمية إشراك الأطفال في رسم قصص خاصة بهم أو مشاركتهم في ورشات لرسم قصص تعبر عنهم؟

في الورشات الخاصة للأطفال لا يمكن أن أصبح لهم ما يقومون به بعكس الورشات الإبداعية الاحترافية، فحرية الطفل هي التي تخلق الخيال وتقوي الإبداع لديه وتمكنه من النجاح في حياته مهما كان الاختصاص الذي سيتابع دراسته أو عمله خلاله، وتستطيع عبر الخيال خلق جيل قادر على البناء وفي الحرية تكمن المسؤولية، وخصوصاً أنه ليس درس رسم بل هو درس خيال، ما يتطلب مني ألا أعلية أي أمر أو أصح له أي خطأ، بل إن أكثر ملاحظة أدق عليها هي أن يقوم الأطفال بتنظيف أدواتهم كي يتعلموا من التكوين بالوان نقية.

في الختام ماذا تقولين للطفل السوري؟ الحب هو أمن شيء إن كان صادقاً، والطفل السوري هو أمننا وحلمنا، والطفل السوري هو حلمي الخاص، ويصدق كبير ما زلت - الحمد لله - أحافظ على الطلاقة الإيجابية بسبب الطفل الذي بداخلي رغم إصابتي بمرض السرطان مرتين، لكنني تجاوزت محنته بمساعدة ما يسكنني من أمل وفرح طفولي يرافقتني في ساعاتي وأوقاتني مع فرائدي والوأي وخيالاتي الصافية النقية. وفي النهاية يجب علينا أن نعمل لأجل بلدنا، وبالطبع بدايتي كانت في مجلة أسامة، وأقولها دائماً إنها هي الأم التي قبلت عترتي.

الرسم للأطفال بسيط على ولا يمكنني الابتعاد عنه، وبقي أن أضيف هنا بأن الكثير من الفنانين حاولوا الرسم للأطفال ولكنهم لم ينجحوا كون هذا الفن يحتاج إلى خاصية وتميز لا يملكه إلا القلة.

• بل يكمن عبثاً عليك التفرغ خارج السرب والاجتهاد من أجل ما تؤمنين به؟
في الحقيقة أنا دائماً السفر والمتابعة للأعمال المعروضة في المعارض الأجنبية وهذه الأمور سهلت لي اكتساب التقنيات والأسلوب المتبع لديهم، حتى إنني شاركت في معارض خارجية وهي كثيرة ومنها في سلوفاكيا والتي تقام كل عامين، كما وسجلت في ورشة عمل لي أطلع على كل ما هو جديد وتدريب فيها، وبالطبع الأمر لم يكن صعباً بل مكلفاً ومرهقاً للشباب، وعندما يقولون بأن المعرفة عبء، الأمر صحيح، فكانت أول ورشة قمتنا بها في سورية في معهد (غوته) وبحضور فنانة ألمانية، حيث تشاركنا المعلومات المقدمة وكانت الورشة ناجحة جداً وتميزة، ومرة بقينا في ورشة لمدة شهر مع طلاب السنة الرابعة في كلية الفنون الجميلة، بعدما أقمتنا ورشات مع وزارة الثقافة، كما أنني أشركت في ورشات عربية ولكن هنا لا بد من توضيح أن في الورشات الخارجية لا تلمس نتائجها، بعكس ورشاتنا المحلية التي تلمس أثرها من خلال إبداع المشاركين وحتى الطلب عليهم في دور النشر، وأنا سعيدة كما ذكرت أعلاه بحماس الشباب لهذا الفن.

• هل لك أن تحدثينا عن الطفل الساكن في قلبك والمسيطر على بنات فكرك؟
أنا لا أستطيع مقاومة التعمق والإبحار في خيالاتي بقصص الأطفال التي بين يدي، هنا أعود طفلة صغيرة، تحلم وترسم وتلون، فالطفل الذي داخلي هو أكبر مني ومسيطر علي، ولما عدت للعمل في رسومات الطفل، قلت في نفسي بأنني سأصريح بالصوت العالي بأنني فخورة جداً بهذا الأعمال التي لا تقل قيمة فنية وأهمية عن اللوحات التشكيلية، وإيمان كبير بظفي الداخلي، ويعمل للأطفال ولن أتخلى أو أتوقف رغم نظرة وآراء الآخرين حول هذا الفن.

• هل توضحن أكثر عبارتك «الطفل الذي داخلي هو أكبر مني ومسيطر علي»؟
الطفل الذي داخلي موجود بشكل خارج عن إرادتي، فهو مسيطر علي وحتى موجود في كل حياتي وجنات ماكني، والأمر الذي أصبح مالوفا لكل من يعرفني بشكل شخصي، بأن كل ما يخص الطفل هو موجود في دائرة محيطي، ففي غرفتي هناك ألعاب للأطفال، وحتى علاقة مفاتيحي على شكل لعبة، إذا هذه التفاصيل موجودة دائماً، وهي تعينني كثيراً وخصوصاً أنها أصبحت من الصداقات التي عقدتها، مثلها مثل الأطفال الذين تابعوا رسوماتي في مجلة أسامة، واليوم هم شبان وأصافهم ويقولون في: «نحن تربينا على رسوماتك»، ومرة حدث الأمر معي مع معاون وزير الأوقاف الذي التقيت في دار الأيتام، وعندما عرفوه علي لمحت عيناه، وقال: عندما كنت صغيراً كنت أرق على باب السمان منتظراً كي أشتري مجلة أسامة أرى (رسومك). في الحقيقة شعرت بطفولته من خلال بريق عينيه، فلقد استقطب الطفل الذي داخلي، وهذا الأمر أصادفه دائماً من المحبين والأشخاص الذين تربوا على الرسومات حيث يشكروني على جهدي المبذول في رسومات الأطفال، وهذا المنحوت من الجوائز التي لم أحلم يوماً بأنني سأحصل عليها وأنا في الحقيقة فخورة بهذا الشعور.

• على سيرة الجوائز والتقدير، مؤخراً حصلت على

هذا الاختصاص؟ بالرغم من أنني أرسم للكتب والقصص والمجلات المصورة الخاصة بالطفولة مدة لا تقل عن خمسة وعشرين عاماً، ولي ريادةي واسمي المعروف في هذا المجال ليس فقط محلياً بل عربياً وحتى عالمياً، إلا أنني ومن خلال أسفاري ومشاركتي في المعارض في الدول الأجنبية، لاحظت إلى أي مدى هم مختلفون عنا في الأسلوب، وبالتابعة تنبهت إلى أمر وهو بأن كل القواعد التي كنت أسير وفقها وأنا أرسم، هي العكس تماماً للأسلوب العالمي المتبع، وهنا أشدد على نقطة بأنني لا أرغب في أن أقدم ما هو عالمي، ولكن هذه الدول الأجنبية هي السبابة في هذا الاختصاص من الناحية الثقافية وبالإهتمام بالطفل، وبالتالي عندما رغبت في أن أنقل تقنياتهم وقواعدهم على لوحاتي، تذبذب كثيراً، وخصوصاً أن طموحي مجتهد لتوسيع الدائرة ولنقوم بتطوير هذا الفن، كي يكون مشروعاً جاداً تحقيقه في سورية، وتقديم لوحة للأطفال في كتبهم. طبعاً أنا وحدي غير قادرة على تحقيق هذا المشروع، بل أحتاج إلى كل خامة وموهبة قادرة على الإبداع، وسأبذل كل ما أمكنني من التوجيه والإرشاد للمواهب الشابة، وهنا أحب أن أشير إلى نقطة مهمة، بأنني لست (شيخ كار) يستأثر بحرفته لنفسه وعائلته التي تتوارثها، بل أنا أعطي ما حصلت عليه من مهارات وخبرات كي لا يضيع الوقت كما حصل معي، فلقد استغرقت نحو عشرين عاماً وأنا أبحث وأجتهد، وهنا أعود للورشة الأخيرة كمثل عن واقع الحال. لقد قوبلت بشغف كبير من المشتركات، ولست حاسنهن الكبير كي يتقنوا هذا الفن- وبالطبع هذا الحساس لأقنيتها حتى في ورشات سابقة ومنها التي أقمتها في اللاذقية- إذا ما أقصده بأن الحساس والشغف لإتقان رسومات الأطفال هو حالة عامة عند الجيل الشاب الأمر الذي سيسهل إنجاز هذا المشروع، طالما أن مبادئهم منقذة ولا يُفني تدريبهم استمرار ساعات الورشة أو التمرين في المنزل، مع الإصغاء للملاحظات، وما هو مباشر أكثر، متابعة بعض الشباب والمواصلة في ورشات لاحقة ولو على حسابها الشخصي، وأخيراً نستمكن من تحقيق غايتنا وتطوير هذا الفن في مستقطب دور النشر العربية هذه الطاقات الشابة وتتعاقد معها من أجل رسوماتهم.

• لماذا تفكرين كلية الفنون الجميلة لهذا الاختصاص في الرسم؟
هذا أمر مؤلم للغاية، وهو لم يعد سراً على الإطلاق. للأسف الشديد يعامل فن رسم الأطفال بشكل مهين، بل ويعتبر أقل قيمة من اللوحة التشكيلية، وبمنااسبة الحديث أتذكر مرة أنني توجهت إلى أحد الفنانين الكبار، حينها كنت متحمسة لرسومات كتاب للأطفال أعمل عليه، فقال لي: ماذا تفعلين في هذه الأيام؟ واعتبر أن ما بين يدي ليس فناً. هذا الأمر أمني للغاية، ولأسف هذا هو التفكير العام في بلادنا، والإهمال في ما يتعلق بسوء تثقيف الطفولة ممتد إلى الكتابة وحتى التمثيل.

أنا رسمت للأطفال سنين طويلاً وكان هي من رسوماتي تتدرج تحت مسمى اللوحة من حيث القيمة والنضج، وفي فترة كنت قد أتممت كل أعمال، قررت أن أتبدد فترة عن رسومات الأطفال، فاجتهدت نحو اللوحة التشكيلية وأقت ستة معارض فردية بالإضافة إلى مشاركاتي في المعارض الجماعية، طبعاً أقيت وجودي، وكثيراً ما سمعت- ولازلت أسمع- بأنه على البقاء ورسم اللوحة التشكيلية، ولكن

ممنوع القلب وهواه. من الإرادة المصممة في قرارة العقل.. مع الثقة والإيمان بأهمية ما تقدم.. كلنا عناصر نتلقت من الأصلة والجذور، مُمسكة بالانتساب منبتة من الغرابة ومسافرة نحو الغربة، لتقول أنا سورية الوطن والانتساب والهوى، وطفلي سوري رائع أحلم بأن يكون مرحاً قوياً وصلباً برفقة الأيام... هذا خليط مما تفكر به الفنانة التشكيلية لجينة الأصيل، الرائدة في رسومات الأطفال، فنانة يجرحها قلة التقدير لإبداعها الطفولي الذي لم نصل بعد إلى درجة النهوض به أو الاكتراب بأهميته، لكنها رغم الأتوايل تتأبر وتبني الجسور بين الحضارات، معرفة على جماليات وبساطة الوطن المحبوب.. إنها ترسم بعيون طفل، وتتخيل بفكره، وتحب وتبتعد ألوانها بانتظام، جاعلة من الموضوع أساساً، مسلطة عليه الضوء رغم عتمة الواقع وألوانه الداكنة. أصابها المرض الخبيث، لكنها تعافت من لومه وانتصرت عليه متناسية همه ومتوقفة، بسلام طفلها الساكن أعماقها مع صفاء لبها، وختمت حوارها معنا بالجملة المتألية (الأم هي وحدها من تقبل العثرات).

ولمحة عما دار في الحوار الذي أجرت «الوطن»، نتركم مع أهم التفاصيل

• لنطلق في حديثنا من الورشة الأخيرة والتي احتوى لوحاتها المركز الثقافي في أبو رمانة، حيث لاحظنا بأن الأسماء اقتصرت على الشباب، على أي أساس تم الانتقاء؟
لم نخطط لهذا الأمر وبالفعل اقتصر الورشة على الصبايا بسبب أوضاع الأزمة التي فرضت فقرنا لطاقت الشباب من الذكور، الذين لبوا النداء للدفاع عن الوطن، أو سافروا ليستروا في علمهم والعيش في ظروفهم الخاصة. أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال، هنا أوضح، الورشة ضمت شابات من جميع الاختصاصات الدراسية، ولم تشمل فقط خريجي كلية الفنون الجميلة، بل المتقدمات للورشة كلهن على اطلاع بالمبادئ الأساسية بالرسم، وتم الاختيار بناء على طلبنا بتقديم مجموعة من الأعمال، الأخيرة التي تمكنت من خلالها أن استشف قدرات الرسومات وقوة المستوى بالرسم الواقعي أو تصوير الإنسان والحيوان، مع قدرتهن على التكوين، وبقي أن أشير إلى نقطة مهمة وهي أن هناك الكثير من الشباب السوري الموهوب، وإني جانيهم هناك من يقدر في رسوماتهم، فالملقدون لا يمكنهم المشاركة معنا في ورشات العمل ونحن نستعدهم على الفور، لأننا لا نستطيع تطوير أسلوبهم، في حين نحن نتمسك بالموهوبين والمبدعين ونسعى معهم جاهدين كي نمكنهم من أسلوبهم.

• أنت من رواد الرسم للأطفال وتشاركين في المعارض ولك حضورك حتى في الحصول على الجوائز.. من خبرتك لماذا مارلتنا مختلفين ومتخلفين عن الخارج في

